مدخل إلى
فنون القول عند العرب القدماء

الدكتور عبد المجيد عابدين

مبادىء عامة في فنون القول عند العرب

أولاً – فنون القول وعلاقتها :

ا – بفنون الإيصال (ص ٢٤)

ب – وبالفنون الصوتية (ص ٣٠) والحركية (ص ٣٨)

جـ – وبقيادة المجتمع (ص ٤١)

ثانياً – أقسام فنون القول عند العرب :

ا – باعتبار أجناسها (ص٤٤)

ب – باعتبار القائل وتعدده (ص ٥٢)

جـ – باعتبار أصولها ومنابتها(ص ٥٨)

أولاً – فنون القول وعلاقتها بفنون الايصال وبالفنون الصوتية والحركية ثم بقيادة المجتمع

تمهيد – ماذا نعني بفنون القول ؟

يبدو أن واضعي هذه التسمية أو هذا المصطلح ،آثروا أن يكون مطابقاً ما أمكن– للمصطلح الأوربي الذي يقابله وهو Art of diction ولفظ Diction بالانجليزية أو Diction بالفرنسية ، كلاهما مشتق من أصل لاتيني بمعنى «القول» .وكلاهما يدل في الانجليزية والفرنسية على معان تدخل في صميم الموضوع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي نحن بصدده ، فاللفظ يدل على معنى الالقاء والأداء وكيفية اختيار اللفظ واستعماله ، ولهذا نرى أن وضع مصطلح (فنون القول) على هذه الصورة في العربية ، له مايبرره ، هذا بالاضافة الى أنه أسهل تناولاً وأبسط تعبيراً من قولنا مثلاً : فنون الأداء اللفظي ، أو الأداء القولي ، أو الإيصال الصوتي ، إلى غير ذلك من التسميات .

ففنون القول ، كما هو واضح مما سبق ، تدل على الكيفيات والانظمة والانماط ذات الضوابط المختلفة التي يؤديها ويمارسها الانسان بصوته ، سواء أكان الكلام المؤدّى كلاما منثوراً أم منظوماً . وعلى هذا فان فنون إلقاء الكلام في الحديث العادي ، في القراءة من مكتوب ، وفنون تلاوة القرآن الكريم ، وفنون التسبيح والدعاء ، وفنون الأداء التمثيلي ، وفنون الإلقاء الخطابي ، وفنون الإنشاد ، وفنون الغناء ، هذه الفنون ، وهي ثماني مجموعات أو طوائف ، تندرج كلها تحت فنون القول ، وكل مجموعة أو طائفة منها تتمايز عن الأخرى في أنظمتها وأنماطها وضوابطها .

١ – علاقة فنون القول بفنون الايصال :

ماذا نعني بفنون الإيصال؟ ومانوع العلاقة أو الصلة بينها وبين فنون القول؟

عقدت مارجريت شلاوخ أول فصل في كتابها : « هبة الألسن » (٦٧ ص ١ – ١٨) لتتحدث فيه عن اللغة من حيث هي دلالة على الافهام وإيصال المعاني (ص ١ – ١٨) وكذلك صنع الباحث اللغوي ماريو باي Pei في كتابه « قصة اللغة The Story of Language » (ص ٩–٢٠) ، إذ تحدث في الصفحات الأولى عن دلالات الإفهام غير اللغوية وأنظمتها المؤدية الى ايصال المعاني الى الآخرين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن هذين الكتابين نستخلص أن معرفة الدلالات التي تشير الى حالات نفسية وأفكار لدى أصحابها تعتبر مدخلا رئيسياً الى الدراسة اللغوية الحديثة، وذلك لان اللغة من أهم هذه الدلالات التي تكشف عن حالات الناطقين بها وافكارهم؛ ولان اللغة من ناحية اخرى ، تستعين بدلالات غير لغوية ، كالحركة والاشارة وملامح الوجه ، وغير ذلك مما يضيف الى دلالة اللغة دلالات اخرى تكشف عن حالة الناطق وفكره . والدلالات غير اللغوية أنواع أو اصناف ، فمنها حركة اعضاء البدن كالرقص ونحوه ، ومنها ما يصدره الانسان من اصوات غير لغوية في حالات الفرح أو الحزن ، كالأنين والصياح والصفير ، وما يستعين به وهو يعزف على آلة موسيقية او يضرب عليها . ومنها الاشارات التي يؤديها المرء برأسه أو عينيه أو لسانه أو يده مما يمكن أن يستدل به على حالة خفية في نفسه ، ومنها تغيير ملامح الانسان في بعض المواقف ، كأن يبتسم مثلا ، فيعبر بابتسامته عن حالة من الرضا او الحب او التملق أو السخرية أو الاحتقار أو الدهشة .

وهناك دلالات غير لغوية لا تستعين بها اللغة عادة . ومع ذلك ، فإن استقلالها عن التعبير اللغوي وبعدها عنه ، لا يقلل من أهميتها الذاتية في قدرتها على الكشف عن الحالات والافكار ، مثال ذلك العلامات الضوئية التي توضع عند مواقف مرور العربات ، إذ تقوم مقام اللغة في إفهام أصحاب العربات متى يواصلون السير ومتى يتوقفون . وكذلك العلامات التخطيطية أو التصويرية التي توضع في مفارق الطرق أو في ساحات اللعب ، فانها كفيلة بارشاد المسافر الى الطريق ، أو تحذيره من الوقوع في منحنى خطر أو توجيهه الى المناطق التي لا يتجاوزها. ومن الدلالات غير اللغوية ، من هذا النوع ، مخلفات الآثار المادية التي تركها الانسان منذ آلاف السنين ، كالرسوم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الساذجة وأدوات القتال ، وأدوات الصيد والرعى ونحوهما ، والملابس والحلي والعقود ونحوها ، فهذه وأمثالها خير معين لعلماء الآثار اذ يستدلون بها على معرفة مستويات الحضارة وتقاليد المجتمعات ونظمها وعاداتها .

هذه لمحات سريعة مما أورده الكتابان في معالجة فنون الايصال ونظمها ودلائلها .

وليس الكلام في هذا الصدد بأمر جديد أو غريب على ما قاله بعض العرب القدماء ولعل أبا عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) من أسبق من نبه الأذهان الى هذه الفنون التي سماها (البيان) في كتابه البيان والتبيين (٩) إذ عرض لاصناف البيان ودلالاتها على المعاني ، وكلامه في هذا الشأن يكاد يتفق وما قاله اللغويون الاوربيون في فنون الايصال . وعندما وضع الجاحظ (البيان والتبيين) عنواناً لكتابه ، قصد من غير شك الى التفرقة بين اصطلاحيه ، على الرغم من صدورهما من مادة لغوية واحدة (ب ي ن) فجعل البيان اسماً لما يسميه المحدثون فن الايصال Art of communication وجعل التبيين للدلالة على شرحه وتوضيح طرقه ودلالاته . وفي الجزء الأول (ص ٧٦ نشرة ع. هارون) أورد تعريفا للبيان ورتب اصنافه حيث قال : « والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع الى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل ، لان مدار الأمر والغاية التي اليها يجري القائل والسامع ، انما هو الفهم والإفهام . فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع .... »

« وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا تنقص ولا تزيد : « أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخطّ ، ثم الحال التي تسمى نصبة » .

« والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الاصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات » .

« ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها ، وحلية مخالفة لحلية اختها ، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، ثم عن حقائقها في التفسير : وعن اجناسها واقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها في السارّ والضارّ ، وعما يكون منهـــا لغواً بهرجا ، وساقطا مُطَّرَحا » ا . هـ .

فالجاحظ بهذه العبارات المركزة ، يضع أساساً لدلائل (البيان) او الايصال كما يسميه الاوربيون ، اذ يقدم لهذه الدلائل تصنيفاً محكماً، يتضمن خمسة اشياء ، ويجعل أولاها : اللفظ ، و« اللفظ » هو مصدر في الاصل ، ولا يقتصر في مدلوله اللغوي على الكلام وحده ، بل كل ما يلفظه المرء من فيه ، فهو لفظ ، كالصيحة والتأوه والصفير ونحوه . « والعقد » ضرب من الحساب يكون بأصابـع اليدين يقال له حساب اليد . وقد ورد في الحديث أنه « عقد عقد تسعين » (انظر تعليق ع . هارون ناشر البيان ٧٦/١) . « والخط » يتضمن خط الكتابة ، وكل ما يرســم المرء بيده من علامات وحدود . « والحال » التي تسمى نصبة « وتسمى » أي تعين ، بالبناء للمعلوم) ، أراد الحال التي تظهر للرائي في علامات معينة . « والنصبة » مـا ينصبونه لمعرفة الطريق ونحـوه ، فمن هذه العلامات يستدل الرائي على حـــالة المرء ، ونفسيته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الواضح،عند موازنة قول الجاحظ بما قاله المحدثون اللغويون،أن هناك تشابهاً بينهما من حيث المبادىء العامة لهذا العلم ، كالتي تتعلق بأنواع ودلائل الإفهام أو الإيصال وتحديد بعض ضوابطها وأحكامها .

ولعل موضوعنا «فنون القول »يمثل قطاعا هاما من فنون ايصال المعنى، عن طريق الصوت اللغوي، وما أحوج الدارسين الى بحث هذا الموضوع من مختلف جوانبه ، فقلما وجه اليه الباحثون العرب عنايتهم ، إذ كان أكبر همّهم منصرفا الى الكلمة المكتوبة سواءأكانت مروية أم مؤلفة ، شعراً كانت أم نثراً . وليس في المصادر القديمة مايدل على اهتمام المؤلفين والعلماء القدامى بفنون الأداء إلاّ ما قام به أهل الاداء والتجويد للقران الكريم من جهود قيمة في هذا الصدد : فقد تلقّى القراء القراءات القرآنية مشافهة عن مشايخهم خلفاً عن سلف ، ومارسوا قراءتها جيلا بعد جيل الى يومنا هذا . ولا جدال في أن هذا الجهد القيم الذي قاموا به قد حفظ جانباً هاماً من هذه الفنون من الضياع . وفيما عدا هذا لا نكاد نجد في مصادر تراثنا إلا إشارات خاطفة وشذرات قليلة عن فنون القول ، وكم كنا نود لو أن علماءنا القدماء ، الى جانب الجهود العظيمة التي بذلوها في خدمة الكلمة المكتوبة والخبر المدون،تنبهوا فيما كتبوه أو روَوْه الى تصوير طرق أداء الكلام المنثور والمنظوم في عصرهم ،ولو كانوا فعلوا ذلك لأبْقَوْا على جوانب هامة من تراثنا القيم ، وحفظوا لنا كيف كانوا يؤدون هذه الذخائر المدونة في كتبهم وكيف كانوا يلقون الكلام في محافلهم ، كيف كان الشاعر ينشد شعره ؟ وكيف كان الحادي يحدو إبله ، وكيف كان نساء المدينة مثلاً يتغنين أبيات الشعر عندما قدم عليهم الرسول ﷺ . لقدظلت هذه الرموز الكثيرة التي أوردها أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الاغاني سراً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مغلقا الى عهد قريب ، حتى أتيح للمشتغلين بالموسيقى العربية ان يطلعوا على بعض آثار المدرسة العربية القديمة للغناء ، فكشفوا بعض غوامضها وحلّوا بعض رموزها .

ومع هذا ، فان مالايدرك كلـه لا يترك جله ، ودراسة فنون القـول عند العرب أمر تمّس اليه الحاجة الى حد بعيد ، حتى نبعث منها الآن مايمكن بعثه ، وإلاّ كان عرضة للضياع في متاهات الاهمال ، ومع هـذا كله ، فإن فنون القول ، هى فنون تقوم أولاً وقبل كل شيء على السماع المباشر . ولا سبيل الى فهم أصولها وقواعدها على وجههـا الصحيح الا بالاستماع اليها ، فليس في مقدور مؤلف أو كاتب وقف على هذه الفنون ، وتبين انظمتها وطرق أدائها ، أن ينقل دقائق الاداء الصوتي الى المستمع ، وكـل ما يمكن أن يحرزه الكاتب من نجـاح ، هو أن يقدم للقارىء مبادىء عامة تمهد لـه الطريق وتهيئه للاستماع بنفسه الى هذه الفنون . هذا إذا كانت هذه الفنون ما ثلة بين أيدينا ، أو مسجلة نستطيع أن نحصل عليهـا أو نستمع اليها ، أما إذا كانت في ذمة التاريـخ ، فإن الامر يزداد صعوبة ، ولا سبيل الى حلها إلا إذا حاولنا ، جهد المستطاع ، أن نسلك طريق المقارنات ، فنقارن الماضي المجهول بالحـاضر الذي نعيشه ، أو نقارن ماضياً غـير معروف بماضٍ معروف إلينا .

ولقد أدرك مؤلفو الموسيقى أهمية الاستماع في فهم الموسيقى ، والإحاطة بدقائق هذا الفن . وفي هذا يقول آرون كوبلاند Aaron Copland في كتابه « كيف تتذوق الموسيقى » (٤٠ ص ١١) (إن جميع كتب فهم الموسيقى قد اتفقت على أنـه لا يمكن للانسان تنمية تذوقه لهـذا الفن بمجرد قراءته كتاباً عنـه ، فاذا أردت أن تزيد من فهمك للموسيقى فلا شيء يفوق في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأهمية استماعك اليها ولن تستطيع أن تجد عن الاستماع بديلاً . وكل ما تناولته في هذا الكتاب وليد تجربة ، إن أردت تحصيلها فلن يتيسر ذلك إلّا خارج نطاق قراءة هذا الكتاب . بل إن قراءته قد تكون مضيعة لوقتك إن لم تعقد النية على المزيد من استماعك الى الموسيقى أكثر مما فعلت في الماضي) .

ولاشك أن كلام كوبلاند هنا يصدق تماما على سائر فنون القول ، وليس على فن الاداء الموسيقي وحده .

ب - فنون القول والفنون الصوتية والحركية :

(١) الفنون الصوتية :

نقصد بالفنون الصوتية ما يؤدى عادة بالصوت البشري أو الصوت الآلي (الموسيقي) أو بهما معاً . فهي تعتمد اساساً على الصوت ، باعتباره المادة التي تستخدمها الفنون الصوتية . ومن الواضح ان فنون القول تعد فرعا من الفنون الصوتية او نوعا منها ، والصوت البشري قد يكون لغويا ، كالمقاطع اللغوية التي تتألف من الحروف (الصوامت) والحركات (الصوائت) ، وقد يكون صوتاً غير لغوي كالصيحات التي تصدر عن حالة انفعال او استرواح او نوم او نحو ذلك . اما الصوت الموسيقي فهو صوت ذو نغمات منتظمة ومنه الطبيعي ومنه الآلي : فالطبيعي قد يكون مبعثه الانسان او الحيوان أو الطبيعة ، فإذا صفق الانسان بيديه أو أحدث صفيراً بفمه ، او انطلقت أصوات النساء بزغاريدهن ، او سارت سيراً منتظما ناشئا من وقع اخفافها على الارض ، او اخذ العصفور يزقزق بصوت رتيب ، او تساقطت قطرات الماء منتظمة على جسم صلب ، او تمايلت اغصان الشجر وقد هبت عليها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نسمات فأحدثت حفيفاً في اصوات هامسة رتيبة ، أو ترددت مطرقة الحداد على السندان على نحو منتظم ، فهذه وامثالها اصوات موسيقة طبيعية ، اما الصوت الآلي او الصناعي ، فهو الذي يصدر عن آلة موسيقية او عدد من الآلات . والموسيقى الآلية اربعة اصناف .

الصنف الاول :

الآلات الوترية ، ومنها العود والربابة والمزهر :

(انظر صورها في المصدر رقم ١٤)والعرب يقولون : ضرب فلان العود او المزهر او البربط او ضرب عليها ، ولا يستعملون الفعل ضرب مع الربابة والكمنجة ، وانما يقولون جرّ الربابة ، وجر الكمنجة ، لأن الربابة والكمنجة – وهما من جنس واحد – يجر عليهما بوتر القوس لتوليد النغم منها ، اما العود والمزهر والبربط – وكلها من جنس واحد – فهي يُضرب عليها بيد الضارب واصابعه . وللربابة والكمنجة انواع ، كما ان العود والمزهر والبربط انواع تندرج تحت جنس واحد . ويقال إن انواع الربابة والكمنجة هي اقرب الآلات الوترية الى الصوت البشري . وللدكتور محمود احمد الحفني مقال في مجلة الفنون الشعبية (٤٦)أثبت فيه ان الربابة اصل الآلات الوترية، وأوضح فيه ان العرب هم اصحاب الفضل في إحياء آلات القوس منذ عصور الجاهلية البعيدة ، كما فصل القول في انواع الرباب وطريقة استعماله في مختلف الاقطار العربية والاسلامية . اما مجموعة العود والمزهر والبربط ، فقد عرفها العرب في الجاهلية من جيرانهم ، من بلاد فارس غالبا ، اخذوها من الحيرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في العراق ، وصار العود متداولا بين المغنين منذ الجاهلية ، حتى العصور الاسلامية .

اعتمد الموسيقيون في تأليفهم على العود وحده ، فاستمدوا منه الامثلة التي ساقوها في شرح نظرياتهم في تأليف النغم وعلم الايقاع . وكل ما نعرفه في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني من مصطلحات في وصف اصوات المغنين والحانهم ، مثل النغم الثقيل والنغم الخفيف ومجاري البنصر وغيرها ، فهو انما يتعلق بالعود العربي ، وهذه الآلة تمد عليها اربعة اوتار ، اغلظها (البم) بحيث يكون غلظه مثل (المثلث) الذي يليه مرة وثلثا ، (والمثلث) إلى(المثنى) كذلك ، و (المثنى) الى (الزير) كذلك .

وهناك فوارق طفيفة بين العود والمزهر والبربط ، وكان نساء العرب يعزفن عليها ، فكان اذا نبغ منهم شاعر عزفوا المزاهر ابتهاجاً به وتهنئة لنبوغه . والبربط كما يقول العرب لفظ فارسي او مركب من (بر) الفارسية بمعنى صدر و(بط) وهو اللفظ العربي للطائر المعروف ، ومعناه صدر البط لأن الآلة تشبهه (اللسان : بربط) .

الصنف الثاني :

آلات النفخ :

كالناي والبوق واليراعة والشيّاع والشبابة والمزمار . . ولفظ المزمار هو اسم جنس يدخل تحته الناي واليراعة والشياع فهذه كلها انواع من المزامير ، وان اختلفت فيابينها في الشكل والحجم والاستعمال ونوع الصوت. والناي فارسي الاصل ، يطلق على الناي المنفرد والناي المزدوج ، وهو من الخشب او المعدن . ويستعمل الناي في مناسبات الحرب والسلم ، وفي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حالات الحزن والابتهاج . اما اليراعة وجمعها يراع فهي من قصب الغاب ، لها ثقوب ، وينفخ فيها من الثقب وليس من ملتقمها ـ اي من فمها ـ بخلاف الناي الذي ينفخ فيه من ملتقمه . وتستعمل اليراعة في مناسبات السلم فقط ، لان لصوتها حنينا ورقة تثير في القلوب رقة الهوى والوجد والأسى. ولذلك لم يكن العرب يستعملونها في مناسبات الحرب والقتال حتى لا يرقق صوتها القلوب . وقد يطلق العرب على اليراعة اسماً فارسي الاصل ، وهو الشاهين ، وربما استعملها رعاة الماشية وحداة الابل ، وكانت الابل في زعمهم تحن الى صوتها . واقدم منها في الاستعمال : الشّياع وهو مزمار الراعي وحادي الابل ، وهو يشبه اليراعة في رقة الصوت وحنانه . الا ان العرب يؤثرون الشّياع على اليراع . وللشّياع اثر ديني قديم ، يرتبط بآله القوافل عند الساميين القدماء وهو (شيع القوم) وسنشير الى ذلك في موضعه . اما الشبابة ، بتشديد الباء الاولى ، فلم تكن معروفة عند العرب الاوائل ، وانما استعملت في عصور متأخرة ، ولهذا اعتبروا الكلمة مولدة بدأ استعمالها بعد القرن الرابع الهجري ، واشار المؤرخون الى انها كانت تستعمل في المحافل والاعراس والمناسبات الدينية ، واستعملها الصوفية في مجالسهم وأذكارهم .

اما البوق فهو آلة معقوفة تصنع عادة من قرون بعض الحيوان ، او من مادة معدنية ، وكثيراً ما استخدمت الشعوب هذه الالة في غير الاغراض الموسيقية ، كالتفير ونحوه ، فقد استخدمت للتنبيه على حدث هام ، او الاشارة الى اعلان الحرب ، او التجمع والتأهب لعمل خطير . والى جانب هذا استخدم البوق في الأداء الموسيقي ، وصوته ذو ضجيج وضوضاء ، ولهذا يستعين به الموسيقي احياناً ، اذا اراد ان يكسب الصوت الموسيقي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مزيداً من القوة والجهارة، او احتاج الى صوت مميز يدل على بدايات للكلام وفواصله، أو أراد تحسين بعض نغمات صوته ، بتمويجها وتجسيم ما فيها من اهتزازات .

والصنف الثالث :

آلات النقر ذات الاغشية المتذبذبة ، كالدفوف بأنواعها . والدفوف من اقدم الآلات التي استعملها العرب في جاهليتهم ، استعملها نساؤهم في مناسبات الحرب والسلم . وكثيرا ما يصحبها بعض أنواع المزامير التي تلائم المناسبة . والدّف عندهم اسم جنس يقع على انواع كثيرة وأسماء متنوعة . ويسمّون صوت الدّف عزفا : وضاربها الدفّاف ، والدّفدفة عندهم هي الاسراع في ضربات الدف ، والاستعجال بها . ومن الدفوف كبار وصغار ، وكلهـا مستديرة الصفحة التي يضرب عليها ، الا ان أشكالها تختلف . وقد ظهرت في العصور المتأخرة دفوف كبار يسمونها الدرادك وهي خاصة بالمناحات ، اما الدفوف الصغار فتستخدم عادة في مواكب الاعراس والمحافل العامة التي تشيع فيها البهجة والاستبشار . غير انها تتفق جميعاً في الوظيفة الصوتية ، اذ أنها تساعد بنقراتها على تقوية النغم وضبط الايقاع .

ومن الدفوف ما يسمى بالطار ، وهـو إطار من الخشب أو المعدن ، يشدّ عليه غشاء من الجلد ، ومنه طارات صغار وطارات كبار وقد يعلّق في حوافي الطارات أقراص صغيرة من المعـدن تحدث في استعمالهـا أصواتاً من الصلصلة ، وتسمى هذه الاقراص صلاصل ، أو صراصر ، بالراء أو اللام . وفي عصور متأخرة ، استخـدم المغنون وبعض الطرق الصوفيـة طارات كباراً من الخشب ، غير أن طارات الصوفية لم تكن مصلصلة .

ومن الدفوف الغربال والطبلة . وكلاهما قديم عند العرب ، وفي اللغـة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغِرْبال هو الدف ، شبّه به في استدارته . وفي الحديث النبوي (أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغِرْبال) . وكذلك الطبول ، عرف العرب منها أنوعاً فمنها الكبار والصغار ، فإذا كانت الطبلة ذات وجهين سميت الكَبَر وتجمع على أكبار ، وإذا كانت مخصّرة أي لها خصر دقيق ، سميت الكوبة . وأظن اللفظين الكَبَر والكوبة جاءا إلى العرب من بعض اللغات المجاورة لهم .

أما الصنف الرابع :

فهو آلات الدق ذات المادة الرنانة، كالنواقيس بأنواعها والقضبان .

و النواقيس كالأبواق تستخدم في أغراض غير موسيقية ، وأغراض موسيقية . فمنها ما يستخدم للتنبيه والاشارة ، كتلك التي يستخدمها النصارى في كنائسهم للدعوة الى الصلاة ، أو التي تستخدم في الوقت الحاضر في المدارس ومكاتب الأعمال ونحوها .

والعرب قديماً استخدموا منها أجراساً صغيرة كانوا يعلقونها في اعناق إبلهم فتحدث جلجلةً في اثناء تحركها أو سيرها . ويسمون هذه الاجراس (الجَلاجِل) . والجَلجَلة في اللغة صوت الرعد ، وقد شبه الشعراء القدماء صهيل الخيل بصوت الجلاجل.

أما القضبان فهي عيدان تتخذ من النَّبْع وهو شجر تصنع منه القِسيُّ والسهام ، ينبت في ذرى الجبال ، معروف بالمتانة واللين ، بعضها يشذب ويُراش ويُنْصَل ، ويصنع منه السهام والنبال ، وبعضها يشذب دون ان يُراش أو يُنْصَل ، ومن هذا الشجر تصنع أيضاً قِداح الميسر ، ومنه ايضاً تصنع هذه القضبان التي يضرب بها على مادة رنانة،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويوصف القضيب بالحنين إذا ضرب به على قرص أو إناء من نحاس أو حديد.

وفي عصور متأخرة وردت العبارة « الطَّقْطَقة بالقضيب والمخـــدّة » والمخدّة كلمة مولدة معناها الوسادة التي يضطجع عليها النـائم ، ولكن يبدو أنها استعملت للدلالة على هذه المـــادة الرنانة التي يضرب عليها بهـذا العود ، فتحدث هذه الطَّقْطَقة .

وبالجملة فإن فنون القول عند العرب ، منذ القدم ،قد استعانت بسائر فنون الصوت ، بالموسيقى الطبيعية ، والآلية ؛ وبالصيحات المبهمة ؛ وكان من عادة العرب في الجاهلية ؛ واخوانهم الساميين من قبلهم ؛ إذا دخلوا معابدهم ان ينطلقوا بالضجيج والصياح ؛ وقد أشار القرآن الكريم إلى ما كان يصنعه العرب الأوائل ، حين كانوا يحجون الى البيت ، فيجعلون صلاتهم ودعاءهم ضجيجاً من الصفير والتصفيق « وما كان صَلاتُهُم عِندَ البيت إلا مُكاءً وتَصْدِيَةً » (الانفال :٣٥) ولعل تأثير الصوت الموسيقي في نفوس العرب كان تأثيراً بالغ القوة والعمق ، حتى اعتقدوا أن الصوت الموسيقي الرخيم ، يجتذب اليـــه الجِنّ ويستدعيها ، وكان الغريض المغني ، في العصر الاموي ، يزعم أنه أخذ بعض ألحانه عن صوت من الجن . فكان يقول (سمعت البارحةَ صوتاً من الجن بترجيع وتقطيع ، وقد بنيت عليه صوت كذا لشعر فلان) (اغاني ط الساسي ٢٠ / ٣٠٥) وقد سمّى العرب الصوت الذي زعموا أنـه صـادر عن الجن عزيفاً فكان العرب يسمعونه فيعزفونه . وربما كان لتسمية الآلات الموسيقية التي كانوا يضربون عليها (معـازف) ارتباط بما تصوروه من عزيف الجن ،وهذا اعتقدوا في تأثير أنغام هذه الآلات ، وقدرتها السحرية على اجتذاب الجن اليها واستدعائها . وعندما جاء فلاسفة الإسلام ، كالكندي والفـارابي وابن سينا ، وبحثوا في علوم الموسيقى ، اكّدوا تأثـــير الصوت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الموسيقي في النفس الإنسانية ، ونوهوا بأهميته في التعبير عن أحوال النفس ، وكان منهم من استخدم الموسيقى في علاج بعض الامراض .

ولم يقتصر اهتمام العرب بفنون الصوت والعلاقات التي ربطت بينها ، على اهل الفن والفلاسفة وحدهم ، بل نجد من ائمة اللغة عالماً كأبي الفتح ابن جني يشارك في حدود تخصصه في اثبات العلاقة بين الصوت اللغوي والصوت الموسيقي من حيث صدور الصوت وتكوينه .

فقد اورد ابوالفتح ابن جني في كتابه (سر صناعة الاعراب) كلاما مسهبا أراد به ان يقرب الى اذهان المتعلمين كيف تصدر اصوات اللغة ، يعني الحروف والحركات ، من اعضاء النطق ، فشبه جهاز النطق بالناي ووتر العود قال (في ٣٠ ص٩) «شبه بعضهم الحلق والفم بالناي ، فان الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا . كما يجري الصوت في الانف غفلا بغير صنعة ، فاذا وضع الزامر ،أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين انامله ، اختلفت الأصوات ، وسُمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه ، فكذلك اذا قطع الصوت في الحلق والفم ، باعتماد على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه الاصوات المختلفة . ونظير ذلك – ايضاً – وتر العود ، فان الضارب اذا ضربه وهو مرسل ، سمعت له صوتاً . فإن حصر آخر الوتر ببعض اصابع يسراه ، أدّى صوتاً آخر ، فان أدناها قليلاسمعت غير الاثنين ، ثم كذلك كلما أدنى اصبعه من أول الوتر تشكلت لك اصداء مختلفة إلا ان الصوت الذي يؤديه الوتر غفلاً غير محصور تجده ، بالاضافة الى ما اداه وهو مضغوط محصور ، أملس مهتزا . ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته وضعفه ورخاوته . فالوتر في هذا التمثيل كالحلق ، والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من اقصى الحلق ، وجريان الصوت فيه غير محصور كجريان الصوت في الانف الساكنة ، وما يعترضه من الضغط والحصر بالاصابع كالذي يعرض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للصوت في مخارج الحروف من المقاطع . واختلاف الاصوات هناك كاختلافها هنا . وانما أردنا بهذا التمثيل الإجابة والتقريب ..

١٢ ــ الفنون الحركية

فنون القول هي فنون صوتية ، وللعرب عناية خاصة بهـــذه الفنون ، وعلى العكس من ذلك الفنون التشكيلية كالنحت والرسم والزخرفة وما إليها فهذه لم تصادف من العرب الاوائل شيئاً من العناية . والسبب ، في رأيي ، يتلخص فيما يمكن ان نسميه بالباعث الحركي او الحيوي في إنشاء العمل الفني عند العرب الاوائل .

فالعربي لاتثير نزعته الفنية الا الكلمة التي تقترن بالحركة أو تواكبها ، أو مشاهد الطبيعة الثائرة او التي تحرك في نفسه كوامن الشجن والذكرى . ومن ثم تفوق العرب في الفنون التي اقترنت او امتزجت فيها الحركة بالصوت حتى بلغوا بها درجة عظيمة من الحيوية الموسيقية والتصويرية . فبينما نجد فنون الصوت والحركة تزدهر على أيديهم ، نجد الفنون التشكيلية لم تنشط في تاريخهم القديم . ولم يكن ذلك عن نقص طبيعي أو ضعف في حاسة التمييز بين الالوان والاشكال والحجوم ، وانما هو في نظري فرط التعلق بالحركة الموقعة التي سيطرت على نزعة العربي القديم ، ووجهت حياته ، وتحكمت في سلوكه ومزاجه ، حتى صار إنتاجه الفني مرتبطاً بمقدار ما تثيره الحركة في حسه ونفسه ، وما يحتويه العمل او المشهد من حيوية ونشاط . ولا جدال في ان حياته في البادية كان لها الاثر البالغ في تنمية هذه النزعة وتقويتها ، فالاستقرار عنده جمود ، والصمت عنده عجز ، والسكون عنده موت ، وهو دائب الحركة ، كثير التنقل من مكان الى مكان . لا يروقه من اعمال المعاش الا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما كان مصحوبا بالحركة ، حركة السير وحركة التنقل وحركة الاخذ والعطاء .
ومن أجل هذا زهد العربي القديم في انواع الممارسات التي تقيده بالمكان وقتا طويلا ، وتقيده بالاشكال الجامدة او الساكنة التي لاتتيح لعنصر الحركة — ولو من طريق الخيال والتصور — ان يعمل عمله فيها .

وقد انعكس هذا على لغته ، فكانت حصيلتها من التعبير عن الصوت والحركة اكثر واغنى وادق من حصيلتها المعبرة عن الالوان والاشكال والحجوم . ومعاجم اللغة شاهد على ذلك : فما اكثر ماورد منها من الفاظ تدل على الحركة فهناك فيض من الاسماء التي تعبر عن الفوارق الدقيقة بين انواع السير وطرقه على اختلافها ، وحركات الاجسام والاشارات ونحوها ، وما اكثر الالفاظ الدالة على دقائق الاصوات في مختلف درجاتها وانواعها ، فهناك ما يدل على الاصوات الناشئة من حركات الاجسام في الطبيعة ، وفي الحيوان والانسان ، وما يدل على الاصوات الناجمة عن الاحوال النفسية للأفراد والجماعات في اوقات الرضا او الغضب ، والامن او الخوف ، والصحة او المرض ، والفرح او الحزن . وما يعبر عن الاصوات التي تصدر عن فرد أو جماعة من الناس وهم يزاولون اعمالهم ، او يتنازعون ، او يجهرون بالدعاء والنداء ، أو غير ذلك مما يعرض للمرء في معاشه ومعاملاته ومخاطباته (راجع مثلا فقه اللغة للثعالبي —٣٦—٧٧—٨٠—١٧٢—٢٠٤) .

وعلى العكس من ذلك الألفاظ الدالة على الألوان والأحجام والأشكال الهندسية والزخرفية ، فهذه ليس لها من الوضوح والدقة والشمول ماللألفاظ الدالة على الصوت والحركة (بتصرف من مقال نشأة الوزن المقفى لعبد المجيد عابدين ص ٤٣ من مجلة جامعة أم درمان الاسلامية —٤٥ »

وإذا كان العربي لاتثير نزعته الفنية إلا الصورة الصوتية المصحوبة بالحركة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كما قلنا،فان لدينا هنا ، في فنون القول وأنظمتها ، شواهد كثيرة على الصلة الوثيقة التي ربطت بين القول والحركة . والواقع ان هذه الظاهرة ، وإن كانت موغلة في أعماق الحس العربي والنزعة الفنية عنده فانها لا تقتصر على العرب وحدهم ، ولا يكاد يخلو شعب من الشعوب من اصطناعها ، وللحركة المقرونة بالصوت ،اغراض شتى ، فهي تعطي العامل فسحة من الاسترواح من متاعب عمله الشاق ، وتبعث في الجندي نشاطا وهو يتقدم في المعركة على أصوات النشيد والغناء ، وتروي ظمأ العابد وهو يؤدي صلاته بين التكبير والترتيل والدعاء ، او يطوف حول الكعبة بالتلبية ويرفع يديه بالتضرع والابتهال .

والحركة – فضلا عن هـــذا كله – ذات وظيفة فنية ، مكملة للأداء الصوتي ، فهي تساعد على تعزيز الاداء وضبطه ،فاشارة الخطيب او الراوي بيديه ، والحركة الراقصة على انغام الموسيقى ، واطلاق اليدين بالتصفيق مع انغامها ، والضرب بالأرجل احياناً ، كل ذلك وسائل مساعدة لضبـــط الايقاع ، وتعزيز الاداء .

بل يكاد يتفق الباحثون اليوم على ان اقدم أوزان الكلام المنظوم عند العرب الاوائل ، وهو الرجز ، كان ثمرة تجارب استوحاها العرب من الحركة الموقعة او من عمل مركب تضافرت فيه فنون الصوت والحركة ، وقامت فيه الحركة الموقعة بدور رئيسي الى جانب الصوت . فالحركة الموقعة الناشئة من وقع أخفاف الابل في اثناء سيرها ، هي التي أوحت الى العرب الاوائل بوزن الرجز (نشأة الوزن المقفى ص ٤٢ ، ٤٨) .

غير ان تقاليد العرب التي توارثوها في الجاهلية عن اسلافهم اهل البادية، قد تحكمت في ممارسة هذه الفنون ، الصوتية والحركية ، وفرضت عليها شيئاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من التقيد والتخصيص . فكان العربي الاصيل يمارس التعبير الحركي والصوتي في حدود ما سمحت به تقاليده ، فمارس الحداء والرّكبانية ، وأقبل على المفاخرة والمنافرة وانشاد الشعر ،ونحو ذلك مما ارتبط في حياته البدوية بمهنته ورحلاته ودفاعه عن قبيلته ، واظهار تفوقه في الكلمة المنطوقة . وفيما عدا هذه الفنون وامثالها مما لم تسمح به تقاليده ، كالغناء في محافل الافراح ومجالس اللهوّ ، والنياحة في المنادب والمآتم ، والرقص والزّفْن — والزّفْن نوع من الرقص يمتاز بالسرعة وتوالي الحركات — فقد تركها العربي الاصيل، وتخلّى عن مزاولتها حفاظاً على ما ورثه عن اسلافه من تقاليد ، تاركا للموالي والجواري ونساء القبيلة والصبية تلك الفنون التي تاباها عليه تقاليده . لقد كان للشاعر ان ينظم في الرثاء وان ينشد شعره ولكنه لا ينوح به في المنادب والمناحات ، وانما كانت النياحة من عمل النساء وكذلك كان الغناء من عملهن في الجاهلية ، وكان الرقص للعبيد والإماء .

ج - فنون القول ومكانتها في قيادة المجتمع :

ومن الطبيعي ان نجد لميلهم الشديد الى التعبير اللغوي الذي يواكب الحركة او يمازجها ، اصداء عميقة وروابط وثيقة تربطه بالنُّظُم والقيم الاجتماعية التي تميزهم ،حيث اخذت فنون القول تتبوأ مكانة رفيعة عند المستويات القيادية لمجتمعاتهم . فصار التفوق في ممارسة فنون القول ، او بعضها ، مؤهلاً ممتازاً لأصحابها يرشحهم لمراكز الرئاسة والقيادة في قبائلهم واقوامهم . وقد اشار المستشرق كارْلُو نلينُو في كتابه (تاريخ الآداب العربية ط ١٩٥٤ ص ٨١) الى شيء من ذلك حين قال (ومن الحَريّ بالذكر ان الالفاظ التي كان العرب يعبّرون بها عن متولّي حكم قوم من اقوامهم ، اعني السيد ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والامير عند عرب نجد والحجاز، والقيل في انحاء اليمن ،اذا بحثناعن اشتقاقها بمقارنة سائر اللغات السامية ، وجدنا أن معناها الاصلي انما كان : القائل ، او المتكلم) اه . ونضيف الى ما قاله نلدّينو ، ان لفظ (السيد) الذي أشار اليـــه يدل في اصل معناه على المحاورة وابداء الرأي ، ففي العبرية הֵחֵל דָּבָר (تسوّد بمعنى ناقش ،وفي السريانية (سود) أي أسرّ اليه بالقول ،وفي النقوش العربية الجنوبية ،كالسبئية وغيرها ، كثيراً ما ورد لفظ مسود (م س و د) ، بمعنى منبر الخطيب او المكان الذي يتكلم من فوقه ، وفي العربية الفصحى ذاتها يقال ساوَدَ فلان فلانا إذا غالبه في القول ومن المعروف في علم دلالة اللفظ أن المعنى في تغيّر مستمر، وأن العوامل الاجتماعية من أهم المؤثرات التي تعمل على تغيـــير الدلالة ونقلها من حال الى حال ، وكان العربي القديم إذا ظهرت مقدرته على محاورة قومه ومساورتهم ، اعترفوا له بالسؤدد والسيادة وسوّدوه ، اي جعلوه سيدا . والامير ، من امر يأمر أمراً وفي العبرية אָמַר (بمعنى قال) . فالأمر في الاصل هو القول ، ثم تطورت دلالته في العربية ، الى الامر الذى هو ضد النهى فقالوا الأمير وهو الآمر او كثير الأمر.

والقَيْل عند اهل اليمن وجمعه أقيال ، معناه (القائل)او كثير القول، ويسمى ايضاً المِقَوْل . ضعف الى هذه الالفاظ كلمـــة زعيم ، وهي من الزعم وهو القول،يكون حقاً ويكون باطلا، ثم اخذ الزعم معنى الكلمة التي ينطق بها المرء فيتحمل تبعاتها في ثقة لنفسه وكفالة لغيره ، ومن معانيهـا الوعد بالكفالة والضمان،وبهذا المعنى قد ينسب الزعم الى الله تعالى بمعنى انه صاحب الوعد الحق الذي يكفله ويضمنه وذلك كقول الشاعر يصف نوحاً :

نودِيَ قُمْ واركبَنْ بأهلك ا.. نّ . . الله موف للناس ما زعما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقول عمرو بن شأس :

تقول :هلكنا إن هلكتَ وانما على الله أرزاق العباد كما زعم

ومنه جاء قولهم الزعيم الكفيل ، وقال تعالى (وأنا به زعيم)[1] وزعيم القوم رئيسهم وسيدهم (اللسان : زعم) وقال التبريزي في شرحه على حماسة ابي تمام (ط بولاق ٤/٧٧) : (وسمي الرئيس زعيما لانه يزعم عنهم اي يقول) . أضف الى هذا قولهم (الحاكم) و (الحكم) و (الحكيم) وكلها يرتبط اشتقاقيا بالحكمة والحكمة . وكلاهما من القول والكلام . وقالوا رجل أمثل ، وطريقة مثلى ، وسموا القدوة مثلا ، وكلها مأخوذ من المثل الذي يقال ، وتطور الدلالة هنا يشبه تطورها في اللفظ المقابل لها في العبرية ، وهو מֶשֶׁל ، بل ان العبرية صاغت اسم الفاعل منه מֹשֵׁל لتدل على الحاكم او الرئيس . وكذلك العرب في الجاهلية كانوا يسمون بعض آلهتهم بأسماء مشتقة من معنى القول والكلام ففي السبئية كان معبودهم (ألمقاه) يسمونه (ثهوان) ومعناها : القائل او المتكلم . وبالجملة فان المقدرة الكلامية كانت عند العرب الأوائل أهم صفة تؤهل صاحبها لمراكز الرئاسة والقيادة . ويذكرنا هذا بكلمة قالها هتلر في العصر الحديث في كتابه (كفاحي) وهي تتضمن هذا المعنى .قال : (ان من يملك السيطرة على الكلمة المنطوقة هو القادر حقا على تملك زمام الحكم) (نقلا عن مقدمة ابراهيم انيس لكتاب م.م. لويس (اللغة والمجتمع) ترجمة تمام حسان (ط ١٩٥٩ ص ١١) .

---

(١) سورة يوسف ٧٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانياً ـ أقسام فنون القول

والقول ، بمعناه الاصطلاحي الذي يقابل Diction يمكن تقسيمه باعتبارات شتى :

١ ـ ينقسم باعتبار أجناسه الى ثمانية اجناس :

(١) فالكلام العادي الذي يجري بين الناس مشافهة في حياتهم اليومية ، هو أبسط اجناس هذه الفنون وأيسرها تناولاً . وتتفرع عنه انواع،منها المحادثة الجارية ، والحكاية الشعبية كـ(الحدوتة)ونحوها ، وضرب الامثال ، واستخدام الألغاز والاحاجي ، والتنكيت ، ولغة التسويق الحرفي والمهني ، ونداء الباعة ، وندب النوح،وعبارات التهنئة في الافراح والاعياد الى آخر هذه الأنواع التي يمكن ان سمح لنا الوقت دراستها مع سائر اجناسها تحت عنوان (فنون القول الشعبي) .

(٢) يلي هذا فنون القراءة أعني قراءة الشيء المكتوب ، وهي جنس تندرج تحته انواع . فمنها القراءة الجهيرة التي يرفع القارىء فيها صوته فيَسمع نفسه ويُسمِع الناس من حوله ،ومنها القراءة الخفيضة التي يَسمع فيها نفسه، ثم القراءة الصامتة التي يحرك فيها لسانه وشفتيه ولا يسمع نفسه (قارن بما ورد في حديث ابن عباس في مادة : قرأ في النهاية لابن الأثير) .

وضوابط القراءة تختلف عن ضوابط القول الشعبي ونظمه ، وقد يعرض للقارىء من عيوب الاداء ، كالتصحيف والتحريف ، مالا يعرض لمن يؤدي كلاماً عادياً في حياته اليومية .

وربما كان من حق (القراءة) ان تأخذ مكانها في دراستنا هذه ، الا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اننا آثرنا ان نقصر حديثنا على الأجناس الستة التالية اعني فنون التلاوة والتسبيح، وفنون الأداء التمثيلي ، والالقاء، والانشاد ، والغناء .

(٣) وفنون التلاوة – في اصطلاح قراء القرآن الكريم – جنس من القول قائم بذاته يضم انواعاً يجمعها التجويد .

والتجويد مراتب او كيفيات ، أهمها : الترتيل والتدوير والحدر .

وقد ابتدع القراء فنونا من التلاوة اختلف حولها الفقهاء ، كالغناء بالألحان ، والتلاوة الجمعية. وسنتناول هذا كله بشيء من التفصيل عندما نأتي الى موضعه .

(٤) – والتسبيح ان يقول المرء : سبحان الله ، ومعناه تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي له ان يوصف به . ويقال في اللغة سبّحت الله تسبيحا وسبحانا بمعنى واحد (التهذيب للأزهري واللسان مادة: سبح) . فقولنا : سبحان الله عبارة عن العبادة والإقرار بأن الله واحد منزه عن كل سوء . والتسبيح قد يكون بمعنى الصلاة والذكر ، ويقال في اللغة قضيت سُبْحَتي اي صلاتي ودعائي . وفسروا قوله تعالى (فسبحان الله حين تُمْسُون وحِينَ تُصْبِحون) بأمرهم بالصلاة في هذين الوقتين. وقوله تعالى (وسَبِّحْ بالعشيّ والإبكار) أي : وصلّ . والسُّبْحَة الدعاء وصلاة التطوّع والنافلة . وقال ابن الأثير (النهاية : سبح) وقد يطلق التسبيح على غيره من انواع الذكر مجازاً كالتحميد والتمجيد وغيرهما. فمن الواضح أن اللغة توسعت في معنى التسبيح فجعلت من معناه الدعاء والأذكار والصلوات والنوافل والفرائض ونحو ذلك . وعلى هذا المفهوم الواسع للكلمة ، تندرج تحت التسبيح فنون كثيرة ومتنوعة كالعبارات والادعية التي يناجي بها المرء ربه في صلاته ، أو يدعو بها غيره الى الصلاة ، وتلك الصيغ والعبارات التي ينطق بها المرء في حلقات الذكر ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي الاعمال اليومية التي يمارسها في الصباح والمساء ، في أداء عمله ، وعند تناول طعامه ، وعندمايأوي الى فراشه ، وفي المحافل والمواسم وسائر المناسبات العامة .

(٥) ومن أجناس فنونالقول ، جنس يتميز عن سائر الأجناس باعتماده في الأداء على التقمّص والمحاكاة ، وهو يذكّرنا ببعض العناصر التي يتألف منها الاداءالمسرحي أو التمثيلي . والواقع أن الأدب المسرحي ، من حيث هو فن متطور متكامل ، لم يكنمعروفاً لدى العرب القدامى ، غير أن هناك عناصر وأنماطاً ساذجة من الأداء المسرحي أو التمثيلي ، وجدت عند العرب في عصور الجاهلية والاسلام .

ومن هذه الزاوية ، يمكن أن نقسمفنون القول الى قسمين عند العرب : قسم من الفنون يعبر فيها القائلعن ذات نفسه مباشرة وبغير واسطة ، ومن هذا الصنف ما نجده في الإلقاء الخطابي والإنشاد والغناء والأدعيةفهذه فنون من القول يؤديها المرء ليعبر بها عن حقيقة ما فينفسه ، ويؤديها بالطريقة التي تمثل شخصيته هو وليس شخصية أحد سواه .

والقسم الثاني هو ما نسميهبفنون الأداء التمثيلي ، وهو أداء يقوم على المحاكاة والتقمّص كما قلنا ، فالمؤدّي في مقدوره انيحاكي أصوات الآخرين محاكاة دقيقة ، عن دربة وممارسة ، وعن هواية أو احتراف . وأن يتقمّصهيئة شخص آخر وحركاته ولهجته وطريقته في القول ، او يتقمّص شخصية أخرى فينتحلها انتحالاً ، أو يتنكر في زيها ، أو يحتجب خلفها ويحاكيصوتها ، أو يتقمّص المواقف والاحداث وينتحلها انتحالاً ، كأن يدعي أنه صاحب نعمة ويسار ثمنزلت به كارثةأدت الى فقره وحرمانه ، ويوضح موقفه هذا للناس ويطلب مساعدتهم بالمال ، كما كان يصنع أهل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكنْدية الذين عرفوا في العصور القديمة ، وكانوا يحتالون للحصول على المال بشتى الحيل والوسائل . أو كالمرأة التي تحترف النـــدب والنياحة ، فتمثل دور الحزينة فتندب وتنوح وتلطّخ وجهها بالسواد وتحلق شعرهـا وتشـق ثيابها .وسوف نجد لهـــذا أمثلة من فنون مارسها القدماء في إنشاد الشعر والمسامرة وفي حيل المكدين وفي الندبة والنياحة ، وفي المحاورات وحكاية النوادر والقصص ، ثم خيال الظل الذي عرفـه العرب في القرن الثامن الهجري .

(٦) ثم فنون الالقاء الخطابي.والالقاء في اللغة مصدر للفعل (ألقى) ، وألقى فعـــل مـاض مزيد بالهمزة في أوله ، ومادته الأصلية في اللغة اللام والقـاف وحرف العلّة . ومعنى الالقاء في اللغـــة ـ كما يقول الراغب في مفرداته هو « طرح الشيء حيث تلقاه، أي تراه . ثم صار في التعارف اسما لكل طرح » .

ومعنى قوله أننا اذا قلنا مثلاً : ألقيت اليك قولاً ، فالمراد أنني ألقيت كلاماً ، اي وعيته وأدركته ، فألقيته اليك أي أديته اليك . ووردت صيغة الفعل (ألقى) في القرآن الكريم اكثر من خمس وسبعين مرة ، منها آيتان فقط وردتا في إلقاء القول هما الآية الخامسة من سورة المزّمل (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) اشارة الى ما حمله النبي (ﷺ) من النبوة والوحي . والآية الأخرى هي السادسة والثمانون في سورة النحل (فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ) . ولعل المعنى المراد من الصيغة الواردة في القرآن الكريم ، هو طرح الشيء حسيّا كان أو معنوياً . وارتباط لفظ (الطرح) بالكلام معروف عند القدماء ، فمـن كلامهم : تطارحوا الكلام أو الغناء ، أي طارح فيـــه بعضهم بعضاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وظلّ الالقاء بمدلوله اللغوي العام ، وهو الطرح ، يستخدمه العرب في عصورهم السابقة ، للكلام وغيره ، الاّ انه في العصور الحديثة اخذ استعمال الكلمة يتجه الى نوع من الاصطلاح ، يتضمن سمات خاصة تميزه عن سائر اجناس القول . وهي سمات تظهر ، بصورة او باخرى ، في فنونٍ من الأداء مثل الخطابة والوعظ والرواية والحكاية . حتى اصبحنا الآن لا نقول ألقى فلان خطبة او موعظة او حكاية ، بل نقول القى فلان شعراً ، اذا كان اداؤه القاء . ولا يجوز في استعمالنا العام ان نقول مثلا انشد فلان خطبة او انشد حكاية لأن الإلقاء في مفهومنا المصطلح عليه ، تضمن سمات معينة تميزه عن الانشاد وغيره . وفي ضوء هذا المفهوم ، نستطيع ان نجعل من انواع الالقاء الخطابة والموعظة والرواية ونحوها مما نؤديه بطريقة تتوافر فيها السمات المميزة للالقاء . والالقاء يتخذ – بصفة عامة – طريقاً وسطا في الأداء . ولعل الطابع الخطابي فيه هو ابرز سماته ولهذا اسميناه بالإلقاء الخطابي يؤديه الملقي في صوت اقرب الى الجهارة ، يضبط مخارج الحروف ، ويفرّق في النطق بين الحركة الطويلة والحركة القصيرة ، ويحسن معرفة احوال الوقف والوصل والابتداء والانتهاء ، ويقيم الاعراب ويجيد مواقع الاشارة في اثناء أدائه . وقد يكون الكلام الذي يلقيه مرتجلا او مستظهراً ، وربما استعان بقراءة شيء مكتوب ، وكل ذلك جائز ، بشرط ألاّ يشغله استدعاء الكلام عن متابعة ضوابط الإلقاء ، وتحقيقها على الوجه الأفضل .

(٧) و (٨) اما الانشاد في اللغة فأصله الاشتقاقي هو الحروف الثلاثة (ن ش د) ومعناه العام تعريف الشيء وطلبه علانية . يقال نشد ضالته أي طلبها وعرّفها وسأل عنها : ونشدتُ الرجلَ اذا ذكّرته بما وعدني وعاهدني به وطلبته منه ، وتنشّدوا الاخبار ارادوا إعلانها على الناس ليعرفوها ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وانشد فلان بالقوم هجاهم وعرّف بساوئهم ، وأنشدت الرجل عرفته بما طلب وأجبته . ونشدته فأنشدني: سألته فأجابني . وانشد الشعر عرفه وأعلنه ، والاعلان يقتضي رفع الصوت ، ومن ثم جاء الإنشاد بمعنى رفع الصوت ، فقالوا أنشد فلان الشعر اذا رفع به صوته .

ويلتقي الانشاد والالقاء – اصطلاحاً – في المسحة الخطابية . الاّ ان الإنشاد أكثر تنغيماً . وقد وصفه محمد مندور بأنه « إلقاء منغّم » ، كما وصف الغناء بأنه إنشاد ملحن . (مجلة كلية الأداب جامعة فاروق الأول المجلد الأول – مايو ١٩٤٣ ص ١٣٥) .

غير ان التنغيم في الانشاد يتفاوت ، فقد يزداد ويكثر حتى يقترب من الغناء وقد يضعف ويقلّ حتى يدنو من الإلقاء . ومن هنا كان الإنشاد على مراتب فمنه المعتدل أو المرسل ، ومنه الانشاد الغنائي الذي يدخله كثير من الترجيع والترنم .

وقد عقد سيبويه في كتابه باباً سماه (باب في وجوه القوافي في الانشاد) (٢٩٨/٢) أوضح فيه نوعين من الانشاد في أداء القافية ، وتختلف وجوه أدائها باختلافهما ، فنوعاً يسميه الانشاد ، ونوعاً يسميه الانشاد مع الترنم .

اما النوع الأول فهو ما نسميه الانشاد المعتدل أو المرسل ، ويقول بعض القدماء في وصف نوع من انشاد الشعر : « ينشد الرجل شعراً مرسلا » أراد بالانشاد المرسل ان يكون طليقاً غير مقيد بطريقة الغناء ، ولا آخذ منها ، وانما هو إنشاد جرى على مألوف الكلام ونسقه ، والعرب يقولون لمن ألقى الكلام على مألوفه دون ان يتفنن في أدائه ويبالغ في تحسينه وتجويده : « القى الكلام على رسيلاته (انظر اللسان :رسل) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اما النوع الثاني فهو انشاد يأخذ من الغناء بنصيب ما ، فيرجع شيئاً من الكلام ويردده ، ويقف عند بعض حروفه وحركاته مترنماً ، وهذا هو الانشاد مع الترنم كما سماه سيبويه ، او الانشاد الغنائي كما نسميه .

والانشاد الغنائي لا يسمى في اصطلاحنا غناء ، فالغناء له خصائصه ، وأهمها التلحين . ولم يسمه سيبويه غناءً ، ولا أظنه قصد اليه حين سماه الانشاد مع الترنم . ولا جدال في ان سيبويه يعرف ما هو الغناء معرفة جيدة ، وقد عاش في عصر العباسي الأول ، حين بلغ الغناء القديم أوجه وذروته ، ولم يذكر سيبويه اسم الغناء صريحاً في هذا الباب من كتابه الا عندما استطرد ليقرر أن (الشعر وضع للغناء والترنم) ، ونحن نعلم حرص سيبويه على دقة التعبير . فقوله (الانشاد مع الترنم) لم يكن يقصد به الغناء ، ولو قصد الغناء لذكر اسمه صريحاً . ومع هذا فلو تجاوزنا سيبويه وامثاله من العلماء القدامى ، من أهل الدقة والاحاطة ، لجاز أن يقع اللبس بين الغناء والانشاد عند كثير من الناس ، فكثيراً ما تتساهل اللغة في استعمال كلمة ما ، ثم يأتي الاصطلاح فيحدد مدلولها وهذا ما حدث في لفظي الغناء والانشاد . فقد نجد لفظ (الغناء) في بعض أخبار القدماء ، يستعمل للانشاد حيناً ، وللغناء حيناً آخر . وهذا راجع كما قلنا إلى أن الانشاد في بعض فنونه يأخذ من الغناء بعض خصائصه ، وقد لاحظ أحد فقهاء المالكية شيئاً من هذا فأراد ان يزيل اللبس ، فوضع حدوداً بين اللغة والاصطلاح في استعمال لفظ الغناء .

والفقهاء كان يهمهم هذا التحديد لما يستلزمه الإفتاء بالرأي الفقهي في مسألة الغناء والإنشاد ، يقول ابن الحاج في المدخل (٣ / ١٠٩) : للفظ الغناء معنيان : لغوي وعرفي ... فقول أبي بكر (رضي الله عنه) عندي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جاريتان من جواري الانصار تغنيان . . . أي ترفعان أصواتهما بانشاد الشعر . ونحن لا نذم إنشاد الشاعر ولا نحرّمه ، وإنما يصير الشعر مذموماً إذا لحن وصنع صنعةً تورث الطرب وتزعج القلب وتثير الشهوة والطبيعة).

وبعد فإن للشعر مع الغناء قضية خاصة ، أثارها القدماء والمحدثون . فإذا فرضنا أن فنون القول قد سلكت طريقها — خلال العصور — في تطور صاعد من البساطة إلى التركيب ، ومن السهولة إلى التعقيد ، فمن أين بدأ هذا التطور والى أي صورة انتهى الينا ؟ أكانت المحادثات الجارية اليومية بين الناس هي نقطة البداية ، ثم انتهى الامر الى الغناء ؟ أم إن العكس هو الأصح ؟ بمعنى أن الناس بدؤوا يتفاهمون بالغناء ، يتغنّون كلامهم الجاري بينهم ، نثراً كان او شعراً ، ام كانت بواكير فنون القول وبدايتها معروفة في المجتمعات البدائية ، يمارسها الناس في مجتمع واحد ، وفي زمان واحد ، بحسب احوالهم ومطالبهم وملابسات حياتهم ، يستخدمون الغناء في مناسبات اعيادهم ومحافلهم ، ثم يعودون الى القول الجاري في حياتهم ومعاملاتهم اليومية ؟

تلك قضية لا سبيل الى الكشف عن حقائقها . فهي ترجع بنا الى متاهات ما قبل التاريخ . ولكن اذا نظرنا في العصور التاريخية ، وجدنا ان الشعر يرتبط منذ البداية بالغناء ، ويستوقفنا قول سيبويه (والشعر وضع للغناء والترنم) ، فهو يعني ان الأصل في الشعر غناؤه . ومن هذا نفهم ضمناً أن الشعر لم يثبت على الطريقة التي كان يؤدى بها في الأصل ، بل كان في بعض الأحيان ينحدر درجة فينشد ، ثم ينحدر درجة ثانية فيلقى ، ثم ينحدر آخر الأمر فيقرأ من كتاب . ومما يزيد كلام سيبويه ويؤكد فكرة « التطور المنحدر » الذي آل اليه قول الشعر ، ما أورده صاحب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العقد الفريد في فصل عقده في اختلاف الناس في الغناء قال فيه (إن الشعر أحوج الى الألحان لاقامة الوزن وإخراجه عن حدّ الخبر ، وما الفرق بين أن ينشد الرجل شعراً مرسلاً ، أو يرفع صوته مرتجلاً ؟ وانما جعلت العرب الشعر موزوناً لمد الصوت فيه والدندنة ، ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور) (تحقيق العريان ط ٦/٧/١٩٥٣) وهذا يتفق أيضاً وماقاله محمد مندور (الشعر عند العرب كالشعر عند اليونان لم يخلق منذ نشأته الا ليتغنى به : ثم تطور الغناء الى الانشاد ، والانشاد الى القول ، والقول الى القراءة الصامتة على نحو ما نفعل اليوم (مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول المجلد الأول ص ١٣٤) .

وعلى هذا يمكن أن يقال إن أداء الشعر قد سلك في تطوره طريقاً مخالفاً لما سلكه الكلام المنثور . فالكلام المنثور بدأ بين الناطقين باللغة في أحاديثهم الجارية بينهم في حياتهم اليومية ، ثم تصاعد بعضه حتى بلغ الغناء . أما الشعر فقد وضع للغناء ثم انتهى به الحال إلى القراءة الصامتة كما نفعل اليوم .

ب — وقد تنقسم فنون القول باعتبار (القائل) ونصوره الى قسمين :

احدهما : يشمل فنون القول الفردي وهي التي يقوم فيها شخص واحد بأداء فنه بصوته .

والقسم الثاني : يضم فنون القول المشترك التي يقوم فيها شخصان او اكثر ، بالمشاركة في اداء الفن بأصواتهم ، سواء اجتمعوا في ادائه على صوت واحد ، أو تناوبوه فيما بينهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي معظم الاجناس التي ذكرناها لفنون القول أنواع تؤدّى بالقول الفردي كما تؤدّى بقول مشترك. وفي اللغة كثير من الصيغ الدالة على المشاركة في القول ، كالمحادثة والمقارأة والمسامرة والمجادلة والمحاضرة والتناشد والمناظرة . هذا بالاضافة الى المصطلحات التي وضعها القدماء وما وصفوه في اخبارهم ، فكل ذلك يدل على ان معظم فنون القول كانوا يؤدونها ، مفردة حينا ومشتركة حينا آخر .

فالقراءة عمل فردي ، والمقارأة عمل يشترك فيه عدد من القارئين . وتلاوة القرآن الكريم يؤديها فرد واحد ، وقد تكون مشتركة . وقد اتفق اهل الاداء والتجويد على وضع ضوابط للتلاوة وكيفياتها . والتلاوة المأثورة عن اوائل القراء وأئمة القراءات ، هي التلاوة الفردية . ولكن بعض القراء منذ العصر العباسي ، ابتدعوا طرقاً من الاداء ، لم تكن موضع اتفاق وقبول لدى الفقهاء وأهل الاداء ، ومن هذه الطرق ، ما اسموه (بالإدارة) وهي تلاوة مشتركة يتناوبها جماعة القراء فيما بينهم . وقد قرىء بهذه الطريقة في بعض الاقطار الإسلامية . وسنتحدث عنها فيما بعد .

ومن الواضح ايضاً ان الدعاء والتسبيح ، قد يصدر عن الفرد وقد تؤديه الجماعة بالتناوب او على صوت واحد. فهناك الدعاء الفردي ، والدعاء الجمعي ، وهناك التسبيح الفردي والتسبيح الجمعي. واذكار الصوفية منها الفردي والجمعي ، وهي دعاء وتسبيح . وعندما يناجي المرء ربه ، فيقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله الا الله ، والله اكبر ، فهذه صيغة تتألف من اربع عبارات وتسمى على سبيل التعميم تسبيحاً فاذا ارادوا المعنى الخاص لكل عبارة منها فإن العبارة الاولى تسبيح ، والثانية تحميد ، والثالثة تهليل ، والرابعة تكبير ، فاذا اجتمع الناس في مسجد او في مجلسٍ في إحدى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المناسبات الدينية في تلاوة دعاء معروف ، فهذا دعاء جمعي اذ يقوم احدهم بادائه عبارة عبرة ، فيردد الحاضرون كل عبارة منها على صوت واحد . وفنون التسبيح والدعاء كسائر فنون القول بعضها بسيط في مظهره وتكوينه حين يكون الدعاء صيغة بسيطة ، يتلوها فرد او جماعة تلاوة عادية مألوفة . ولكن هناك أدعية تقال في المحافل ، ويستعان في أدائها بالموسيقى الآلية ، وتقترن أحيانا بفنون الحركة وغيرها . فهذه وامثالها فنون مركبة تجمع بين عناصر مختلفة من فنون الأداء والإيصال .

وكذلك في فنون الاداء التمثيلي ، فمنها الفردي كانشاد الشاعر وبكاء النادب ومحاكاة صوت شخص آخر ، ومنها المشترك كالتناوح الذي تنوح فيه النوائح متقابلات بعضهن يقابل بعضا ، وكالمحاورة والمسامرة ونحوها

وكذلك الشأن في الالقاء الخطابي والانشاد والغناء ، ففي الإلقاء الخطابي فنون لاتكون إلا مفردة ، مثل الخطابة والوعظ ورواية الحديث النبوي ، وإلقاء الدرس ، وإعلان الخبر على الملأ . ولكن هناك الى جانب هذه الفنون فنون اخرى من الإلقاء يشترك فيها أكثر من شخص ، وكثير من هذه الفنون يسمى بصيغ المشاركة . كالمناظرة ، والمطارحة الخ ... والمشاركة هنا تكون في العادة تعاقباً على القول ، وليست أداءً للكلام المقول على صوت واحد . ففي المناظرة — مثلاً — يلقي احد المتناظرين كلامه وغيره يستمع اليه ، حتى اذا فرغ ذلك من كلامه اخذ المستمع دوره في الرد أو التعقيب على ما سمع . فالإلقاء المشترك هنا هو نوع من الالقاء الدوري كما يمكن أن نسميه .

أما الانشاد فمنه الدوري الذي يكون بين فردين او فريقين او بين عدد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من الأفراد أو الفرقاء. ومنه الجمعي الذي تؤديه الجماعة على صوت واحد. والانشاد الدوري قديم جداً في تاريخ الشعوب السامية، وفي اللغة العربية يسمونه (النشيد) ويعرفونه بأنه (الشعر المتناشد بين القوم ينشد بعضهم بعضا) (اللسان / نشد) وفي العبرانية يسمونه بلفظٍ يقابل (السيرة) في العربية. ومن اقدم اسفار العهد القديم سفر نشيد الانشاد (شير هشيريم) ويرى كثير من الباحثين (EBI ٦٨٨/١) أنه يمثل نمطاً عريقاً في القدم، من الانشاد الدوري، عند العبرانيين كانوا يتناشدونه في حفلات الزواج حيث ينشده العروسان في مواكب الحفل الذي يستمر سبعة ايام. ولا تزال هذه العادة جارية في بعض القرى اللبنانية الى اليوم. وكانت مزامير داود تنشد في معابدهم على هذه الطريقة، ثم انتشرت طريقة الانشاد الدوري في الكنائس والمعابد القديمة، وانتقلت الى اوربا، فكانوا يرتلون اناشيدهم الدينية على الطريقة الشرقية، حيث يدور النشيد بين فريقين. واطلق الاوربيون على هذا النمط من الانشاد الدوري Antiphon أو Antiphonal song. (راجع ERE ٣٧٤/١، ٩/٧، ٧٧٠/١٢).

ويظهر الانشاد الجمعي (الذي يؤدى من الجماعة بصوت واحد) عند العرب منذ العصر الاسلامي الاول. فالمعروف ان الرسول (ﷺ) عند قدومه الى المدينة تلقاه نساء المدينة وصبيانها بهذا النشيد الغنائي

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعاه لله داعٍ الخ ...

بل يظهر نمط من الإنشاد يجمع بين الدوري والجمعي في ما رووته السيرة النبوية في خبر غزوة الخندق، من ان المسلمين في حفر الخندق، كانوا يرتجزون برجل منهم يقال له (جعيل) سماه رسول الله (ﷺ) (عمراً)، فقالوا :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سماد من بعد جعيل عمرا وكان للبائس يوماً ظهراً

فكانوا اذا مرو (بعمرو) قال رسول الله (ﷺ) : عمـــرا . واذا مروا (بظهر) قال رسول الله (ﷺ) ظهرا (السيرة: ابن هشام تحقيق السقا وزميله ط ١٩٥٥ ٢١٧/٣) .

فهذا الرجز كان المسلمون ينشدونه انشاداً جمعيا بصوت واحد . وكان الرسول (ﷺ) يراسلهم أو يجاوبهم بترديد اللفظ الاخير من الشطرتين. وهذا نمط من الانشاط الدوري .

والغناء ، عند العرب القدماء ، كان منه الغناء المنفرد ، والغناء الثنائي ، والثلاثي ، والجمعي . والامثلة على ذلك كثيرة في كتاب الاغاني . فمن الغناء الدوري قول ثمامة بن أشرس ، وهو أحد أئمة المعتزلة في العصر العباسي الأول: مررت بابراهيم الموصلي ويزيد حورا. وهما مصطبحان ، وقد أخذا بينهما صوتاً يغنيانه ، هذا بيتا ، وهذا بيتا ، وهو :

أيا جبلي نعمان بالله خليـــا سبيل الصّبا يخلص إليّ نسيمها

فإن الصبا ريحٌ اذا ماتنسمت على نفس مهموم تجلّت همومها

قال ثمامة : فوالله ما خلت أنّ شيئاً بقي من لذات الدنيا بعد مـــا كانا فيه (الاغاني ط الدار ٢٣١/٥) .

ومن الغناء الجمعي ما رواه الاغاني (ط . الدار ٢٤٣/٥) من أن ابن جامع زار ابراهيم الموصلي فأخرج اليه ثلاثين جارية فضربن جميعاً طريقة واحـــدة وغنّيْن الخ ... ويكون الغنا منفرداً ، سواء أكان المغني يتغنى وهو يضرب على عوده أم كان يتغنى ويضرب عليه غيره . ومن هذا النوع الأخير ما يسمى بالمسايرة ، وفيه يكون العازف او الزامر اكثر شهرة من المغني ، فاذا عزف او زمر كان يجواره مغنٍ يسايره . مثال ذلك زامر اندلسي من قرطبة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان يزمر للأمير عبد الرحمن الناصر ، واشتهر بين الناس . وقد دعي يوماً إلى عرس ، فقعد في وسط الحفل وفي رأسه قلنسوة موشاة ، وعليه ثوب من الخزّ ، واخذ يوقع بزماره لحن أبيات من الغزل ، ويجواره مغنّ محسنٌ يسايره في لحنه (بغية الملتمس ط بحريط ١٨٨٤ ص ١٩٠) .

وظهرت المسايرة وشاعت في أمكنة اللهو والمجون ، بين مرتادي هذه الامكنة ، حيث كان الموسيقي يعزف على العود او يزمر في البوق ، فحينئذ يقوم مغن بمسايرة العازف او الزامر في لحنه . وقد انتشرت هذه العادة في عصور المماليك والاتراك ، وكانوا يسمون المغني باسم تركي الأصل ، وهو (خيناكر) ، ويصفون غناءه بالخنكرة .

ويقول أحمد تيمور (الموسوعة ص ١٩٧) ان الخيناكرين هم الطبقة الدنيا من المغنين ، واللفظ لا يزال يستخدمه العوام ، بابدال الخاء هاء ، فيقولون الهنكرة ، وصاحبها هنكار ، كما ابدلوا الخاء هاء في كلمة (هانم) والأصل فيها (خانم) وكلتاهما من اصل تركي (راجع معجم تيمور الكبير ص ٥٠) . غير ان الهنكرة تحمل الآن دلالة خاصة في لهجاتنا ، اذ تدل على إظهار النشاط والحركة في المحافل والأفراح في غير ضرورة ملحة ، ودون أن يؤدي عملاً مثمراً أو مجدياً .

ومن الغناء الدوري ما يسمى عند العرب بالتراسل ، فاذا اجتمع المغنون ، يبدأ أحدهم بمدّ صوته ، فيضيق عن اتمام المسافة الزمنية المطلوبة للايقاع ، فيسكت ، ويأخذ غيره في مدّ الصوت لاتمامها ، ثم يعود الاول الى غنائه وهكذا دواليك (تيمور . الموسيقى والغناء ص ١٠٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جـ — ومن الممكن ان ننظر الى فنون القول باعتبار اصولها وضوابطها :

فتنقسم الى مجموعتين رئيسيتين :

احداهما . — فنون نبتت بواكيرها الأولى في عصور ما قبل الاسلام ، ومنها فن الأداء التمثيلي ، وفنون الإنشاد وفن الغناء وفن الإلقاء الخطابي . وقد استمرت اشكال هذه الفنون ، فيما بعد الاسلام ، واتخذت صوراً شتى من التطور .

و المجموعة الثانية : — فنون نبتت في ظل الاسلام وتحت رايته ، واستمرت تحمل طابعاً دينياً إسلامياً ، يمتاز بخصائصه عن الفنون ذات الأصول الجاهلية .

وفي قمة تلك الفنون الاسلامية : فن تلاوة القرآن الكريم ، يليه فن رواية الحديث النبوي ثم فنون التسبيح والأدعية الدينية .

وسوف نتناول هذا التصنيف عند تناول فنون القول عند العرب ، في مباحث تالية ان شاء الله .

الاسكندرية (الشاطبي) عبد المجيد عابدين
جامعة الاسكندرية — كلية الآداب أستاذ الدراسات اللغوية بجامعة الاسكندرية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من مراجع « فنون القول عند العرب القدمـاء »

١ ــ أدب الاملاء والاستملاء لعبد الكريم السمعاني (ط . ليدن ١٩٥٢)
٢ ــ الاصوات اللغوية د. ابراهيم أنيس (ط . ٤ ــ ١٩٧١)
٣ ــ اعلام الساجد بأحكام المساجد لبدر الدين محمد الزركشي ــ تحقيق أبو الوفا المراغى ط . ١٣٨٤ .
٤ ــ الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني (ط الدار) .
٥ ــ الامثال في النثر العربي القديم د . عبد المجيد عابدين (ط القاهرة) سنة
٦ ــ البخلاء لأبي عثمان الجاحظ تحقيق د . طه الحاجري ١٩٤٨ م
٧ ــ البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد الزركشي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم الطبعة الاولى .
٨ ــ بلوغ الارب في معرفة احوال العـرب لمحمود شكري الألوسـي (ط ٣ دار الكتاب العربي) .
٩ ــ البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السـلام هارون ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ .
١٠ ــ تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدي .
١١ــ تاج الآداب العربية لكارلونلينو (ط ١٩٥٤) .
١٢ــ تاريخ الحياة الموسيقية لمصطفى الصواف (ط دمشق) سنة
١٣ــ تاريخ الشعر العربـي حتى آخـر القرن الثالث الهجري ط . القاهرة ١٩٦١ م لنجيب محمد البهبيتي .
١٤ــ تاريخ العرب قبل الاسلام د جوادعلى.ط بغداد (ثمانية أجزاء) سـنة
١٥ــ تاريـخ الموسيقى العربيـة لهنري فارمـر ترجمة د . حسين نصـار .
١٦ــ تاريخ اليعقوبي (جزآن ط بيروت) .
١٧ ــ التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر (ط ١٩٢٩) .
١٨ــ تلبيس ابليس لأبي الفرج ابن الجوزي (ادارة الطباعة المنيرية
١٩ــ تهذيب اللغة لأبي منصور الآزهري (١٥ جزءا) .
٢٠ــ الجامع لأحكام القرآن (المقدمـة) للقرطبي .
٢١ــ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع لآدم متر ترجمة د. محمدعبد الهادي ابو ريـده (جزآن) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٣ـ الحيوان لابي عثمان الجاحظ (٧ أجزاء) تحقيق عبد السلام هارون .
٢٤ـ خيال الظل لأحمد تيمور (دار الكتاب العربي ١٩٥٧) .
٢٥ـ خيال الظل د . عبد الحميد يونس (ط الدار المصرية ـ اغسطس ١٩٦٥) .
٢٦ـ خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال (ط القاهرة ١٩٦٣) د . فؤاد حسنين .
٢٧ـ رحله ابن جبير . تحقيق د . حسين نصار ط ١٩٥٥ .
٢٨ـ رساله نصير الدين الطوسى في علم الموسيقى . تحقيق زكريا يوسف (ط ١٩٦٤) .
٢٩ـ رساله يحيى بن المنجم في الموسيقى . تحقيق زكريا يوسف ط ١٩٦٤ .
٣٠ـ سر صناعة الاعراب لابي الفتح ابن جنى (ط ١٩٥٤) .
٣١ـ الشعراء وانشاد الشعر لعلى الجندي (ط ١٩٦٧) .
٣٢ـ الشعر العربي : غناؤه ـ انشاده ـ وزنه د . محمد مندور . (مقال بمجلة كلية الاداب ـ جامعة فاروق الاول المجلد الاول مايو ١٩٤٣) .
٣٣ـ صفة الصفو لابي الفرج ابن الجوزي (ط حيدر آباد بالهند ٣٥٥هـ
٣٤ـ الظرف والشحاذون لصلاح الدين المنجد الرسالة بمصر .
٣٥ـ العقد الفريد لابن عبد ربه تحقيق محمد سعيد العريان ط١٩٥٣
٣٦ـ فقه اللغة للثعالبي ط مصر ١٩٥٤ .
٣٧ـ قصصنا الشعبي د. فؤاد حسنين علي. ط ١٩٤٧ .
٣٨ـ الكافي في الموسيقى للحسين بن زيله تحقيق زكريا يوسف ط ١٩٦٤ .
٣٩ـ الكتاب لسيبويه (ط بولاق ١٣١٦ هـ) .
٤٠ـ كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي تحقيق د . لطفي عبد البديع وعبد النعيم حسنين .
٤١ـ كيف تتذوق الموسيقى تأليف آرون كوبلاند وترجمة محمد رشاد بدران (ط ٢ ١٩٦١)
٤٢ـ لسان العرب لابن منظور (ط بيروت) .
٤٣ـ اللطائف والطب الروحاني لابي الفرج ابن الجوزي تحقيق عبد القادر احمد عطا (ط القاهرة) .
٤٤ـ لمحات من تاريخ الحيا الفكرية المصرية د. عبد المجيد عابدين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤٥ـ مجلة جامعة أم درمان الاسلامية العدد الاول سنة ١٩٦٨ .
٤٦ـ مجلة الفنون الشعبية (عدد ٣ يوليه ١٩٦٥) .
٤٧ـ مجمع الامثال للميداني (ط ١٢٨٤ هـ).
٤٨ـ المحاسن والمساوىء لابراهيم بن محمد البيهقي ط ١٩٠٦ م .
٤٩ـ المحبر لمحمدبن حبيب ت ٢٤٥ هـ (ط حيدر آباد بالهندط ١٩٤٢).
٥٠ـ المدل لابن الحاج العبدري ط ١٩٦٠ (٤ أجزاء) .
٥١ـ مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي (ط ١٩٧٤) .
٥٢ـ المعارف لابن قتيبة ط القاهرة ١٩٣٤ م .
٥٣ـ المفضليات تحقيق محمد أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ط ١٩٦١.
٥٤ـ مقامات بديع الزمان الهمذاني .
٥٥ـ مقامات الحريري .
٥٦ـ المنتظم لابي الفرج ابن الجوزي ط حيدر آباد ١٣٩٠ هـ .
٥٧ـ الموسوعة التيمورية لاحمد تيمور ط القاهرة ١٩٦١ م .
٥٨ـ الموسيقى والغناء في الف ليلة وليلة لهنري فارمر ترجمة د. حسين نصار .
٦٠ـ نشأة الوزن المقفى عند العرب الاوائل د. عبد المجيد عابدين (مقال بمجلة كلية الآدب بجامعة أم درمان ـ العدد الاول ١٩٦٨) .
٦١ـ نهاية الارب في فنون الادب للنويري ط دار الكتب المصرية .
٦٢ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير « مجد الدين » ـ تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي (ط الحلبي) .
٦٣ـ يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net